Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت مصالحة فهي استعارة للسلطة الحاكمة وأتباعها في حالة رضى عن الشيخ؛ وكلا الموقفين ناتج عن ميزان القوى بين السلطة وبين الشيخ، وعن نوع العلاقة التي تكون بينهما: علاقة صراع أو علاقة مصالحة. للتدليل على هذا نسوق الكرامة التالية: ونصها ما يلي: «وحدثني أيضاً عنه ابنه قال: نزل في بعض الأيام هو ومن كان عنده من أصحابه إلى الوادي الذي يلي داره ليغسلوا ثيابهم، ودخل الشيخ في ظل شجرة من السرو فنام وَنَزَل ثُعْبانٌ كبير له عرف كعرف المهر أو نحو ذلك انحدر إلى ذلك الوادي فشرب منه ثم رجع إلى موضع الشيخ أبي يعزى فخافه القوم عليه، فلما بلغ إليه لحس رجليه ودخل معه في ثيابه حتى أخرج رأسه من جيبه. فقال لأصحابه: لا تخافوا إنما هو رسول جاء يخبرني أن أربعين فارساً يصلون إلينا الليلة. وهو القائد أبو عبد الله بن صناديد في بقية العدة من أصحابه. ثم أمر أصحابه بالنظر في قراهم وإعداد الطعام لهم، فوافى القائد المذكور أصحابه فأقبل عليهم قبولاً حسناً...»[20].

تقدم الكرامة ذلك الثعبان العجيب الذي يجمع بين مخلوقين: ثعبان له بعض ملامح الفرس أو هو حيوان مركب. هذا التركيب يجعله مزيجاً من «ثعبان» ومن «فرس»، ومع ذلك فقد جمعت علاقة حميمة بينه وبين أبي يعزى، فقد تداخلا في ثوب واحد وربما تحادثا بلغة واحدة مما قضي منه عجب أصحاب أبي يعزى، ولكن عجبهم زال حينما أخبرهم الولي بأنه رسول جاء يخبرهم بقدوم أحد أعوان السلطة وجماعته. إن الكرامة تطابق بين هذا الكائن الغريب المزيج من فرس وثعبان وبين القائد أبي عبد الله بن صناديد، الذي يكون قد جاء على فرس. فهذا الثعبان هو القائد أبو عبد الله بن صناديد، وما يشبه الفرس هو فرسه. وبتعبير آخر: أبو عبد الله بن صناديد ثعبان، وفرسه هو الفرس الثعبان. وهكذا، فإن هذه الكرامة أوَّلَتْ رمزها بنفسها، إذ تبين المداخلة بين أبي يعزى وبين القائد جو المصالحة الذي ساد بين الشخصين وبين الاتباع. فقد أمر أبو يعزى أصحابه بقراهم وبإعداد الطعام لهم و«أقبل عليهم قبولاً حسناً».

مع كل هذا، فقد يتساءل المرء عن السر في أن الرسول كان ثعباناً على هذه الصورة المفزعة التي جعلت مريدي أبي يعزى يخشون عليه من الهلاك، ولم يكن في زي إنسان بشوش الوجه وضاحه في ثياب بيضاء شديدة البياض أو صفراء فاقعة

(20) العزفي، دعامة، ص 53-54.